



(مفهوم التقرب إلى الله تعالى)

التقرب إلى الله تعالى عادة الصالحين وغاية العباد الموفقين، ولا يزال العبد يتقرب إلى ربه بالتزام ما أمر واجتناب ما نهى حتى يلقي الله وهو أقرب ما يكون إليه، قال تعالى: **(وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ)** [العلق: 19]، أي صلِّ الله تعالى وتقرب إليه بالطاعة والعبادة.

روى أبو داود عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء»**.

فلا يزال الموفقون من عباد الله الصالحين ييغون التقرب من الله تعالى طلباً لرضاه، لكننا لا نعلم طريقاً يقربنا من الله تعالى إلا شرعه فما فرض فرضناه وما استحب استحبناه وما أباح أبحناه وما كره كرهناه وما حرم حرمناه، ومهما خالف المرء ذلك بأن حرم الحلال أو أحل الحرام أو كره المستحب أو استحب المكروه فهو بعيد عن الله. ولو طار في الهواء أو مشى على الماء. ومن أجل هذا كان الواجب على من يريد التقرب إلى الله تعالى أن يتعلم أمره ونهيه، وإلا فكيف يتقي من لا يعلم ماذا يتقي، وكيف يرتقي من لا يعلم كيف يرتقي!

فالعلم مقدّم على العمل، والعلم إمام والعمل تابع، وعالمٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألف عابدٍ.

عقد الإمام البخاري في صحيحه باباً عنونه بقوله: "باب العلم قبل القول والعمل". وقال شراح البخاري: أراد أن العلم شرطٌ في صحة القول والعمل فلا يعتبران إلا به فهو مقدّم عليهما.

فمن أراد أن يتقرب إلى الله تعالى فليتعلم أوامر الشرع ونواهيه ثم ليعمل بها.

ثم من أراد التقرب إلى الله تعالى فليقدم ما قدمه الله وليؤخر ما أخره، فمن ذلك أن الفرض مقدم على النفل، إذ المأمور به في الشرع نوعان:

مأمورٌ أُمرَ به على سبيل الوجوب والإلزام وهذا يسمى فرضاً وواجباً، أو مأمورٌ به على سبيل الاستحباب وهذا يسمى سنةً.

وتأمرنا الشريعة بتقديم الأوجب على الواجب، والواجب على المسنون.

ومن عكس الأمر أخطأ ولم يصح تقرُّبه من ربه، ومن هنا يظهر خطأ أناسٍ تشغلهم السنن والتطوعات عن الفرائض والواجبات، انشغلوا بكثرة صلاة النَّافلة وصوم النَّافلة وحجِّ النَّافلة وتركوا برَّ الوالدين ورعاية الزَّوج والأولاد.

برَّ الوالدين فرضٌ، وصلاة قيام اللَّيْلِ سنةٌ، والفرض مقدّم على السنة.

رعاية الزَّوجة فرضٌ، وتكرار الدَّهَاب إلى العمرة سنةٌ، والفرض مقدّم على السنة.

تربية الأولاد فرضٌ، والدَّهَاب إلى الحجِّ بعد حجِّ الفريضة سنةٌ، والفرض مقدّم على السنة.

تنشغل بعض النِّساء الصَّالحات عن حقوق أزواجهنَّ أو رعاية أولادهنَّ بمتابعة ختمات القرآن والأوراد، فهؤلاء انصرفنَّ عن الواجب إلى السنة.

رعاية الأولاد واجبٌ، رعاية الزَّوج واجبٌ، وهو مقدّم على النَّافلة.

سأل عمر رضي الله عنه عن رجل غاب عند صلاة الفجر، ففعل له: لقد قام الليل كله ونام عن صلاة الفجر، فقال عمر
ليته نام الليل كله وحضر معنا الصلاة. ذلك لأن الفرض مقدم على النفل.
فمن أراد أن يتقرب إلى الله تعالى فليزِم شرعه، ومن أراد أن يلزم شرعه فليتعلم أوامر الشرع ونواهيه. ثم ليقدّم ما قدمه
الله وليؤخر ما أخره.

والحمد لله رب العالمين